٢٠ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

قلت ـ نعم ولكن لم يُرْوَ عن هرقليس نفسه أنه نازل اثنين

فقال ـ ادْعُنى إذن ، وسأكون لك أيولاوس حتى تغرب الشمس

قلت ـ سأدعوك ، لا كما يدعوهرقليس أيولاوس ، ولكن كما كان يفعل أيولاوس لو كان يدعو هرقليس

قال ـ لا فرق بين هذا وذاك ، ولكن لنأخذ الحذر أولاً لكي نتقي خطراً

قلت ـ وما ذاك ؟

أجاب ـ خطرٌ أن تتمكن منا كراهةُ النطق ، فذلك من أسوأ ما قد يصيبنا من أحداث ، فكما أن ثمة أعداء للانسانية وهم من يمقتون البشر ، كذلك هنالك من يكرهون المنطق وهم من يمقتون المثل ، وكلاهما ناشئ من سبب بعينه ، هو الجهل بالعالم ، فتجئ كراهة البشر من الغلو في الركون إلى عدم الخبرة ، فأنت تثق برجل ، وتظنه مخلصاً تمام الاخلاص . وخيراً وأميناً ، ثم لا يلبث أن يتكشف لك زائفاً خبيثاً ، وهكذا غيره وغيره . فاذا وقع ذلك لانسان مرات عدة ، ومخاصة من جماعة أصدقائه الذين يظنهم أشد الناس إخلاصاً له ، وكثر النزاع بينه وبينهم ، فانه ينتهي آخر الأمر إلى كراهة الناس جميعاً ، ويعتقد أن ليس بين الناس على الاطلاق صاحب خير . أحسبك بغير شك قد لاحظت هذا

قلت ـ نعم

ـ أليس ذلك مدعاة للخزي ؟ وسببه أن الانسان في اضطراره إلى معاملة سائر الناس ، لا يكون لديه بهم علم ، لأنه لو عرفهم لعرف الأمر على حقيقته ، وذلك أن ذوي الخير قليلون ، وأن ذوي الشر قليلون ، وأن الكثرة الغالبة هي فيما يقع بين هذين

قلت ـ ماذا تعني ؟

أجاب ـ أعني أنه كما قد نقول عن بالغ الكبر وبالغ الصغر ، بأنه ليس أندر من رجل بالغ الكبر ، أو رجل بالغ الصغر ، فهذا ينطبق بصفة عامة على النهايات ، سواء أكان ذلك عن الكبير والصغير ، أم السريع والبطئ ، أم الكدر والصافي ، أم الأسود والأبيض ، وسواء ضربت أمثلة ناساً أوكلاباً أو أي شئ آخر ، فقليلون هم النهايات ، أما الكثرة فتتوسط بين النهايات ، أو لم تلاحظ هذا قط ؟

قلت ـ نعم لاحظته

قال ـ ثم ألست ترى أنه لو كان بين الشرور تنافس ، لوجد أن قليلاً جداً منها هو أسبقها في الشر ؟

قلت ـ نعم ، فذاك أرجح الظن

أجاب : نعم ذاك أرجح الظن ، ولست أعني أن مَثَلَ الأحاديث في هذا مثلُ الناس ـ وأراك هاهنا قد حملتني أن أقول أكثر مما اعتزمت أن أقول ، ولكن وجه المقارنة هو أنه إذا ما آمن رجل ساذج ، لايحذق علوم الكلام ، بصحة دليل ، وخيل اليه فيما بعد أنه باطل ، سواء أكان باطلاً حقاً أم لم يكن ، ثم تكرر هذا في غيره وغيره ، فلا تبقى للرجل عقيدة واحدة ، وينتهي الأمر كما تعلم بكبار المجادلين الى الظن بأنهم قد باتوا

فعي تأمل أن يعتذر الحبيب اليها . . . يدق التليفون فتسرع اليه ، كما يسرع الغريق الى قارب النجاة ... ياللخيبة ! ليس هو الحبيب الذي يتكلم ، بل هو انسان آخر قد أخطأ الرقم ، يدق التليفون من جديد فتهرع اليه الفتاة ، فاذا المتكلم سيدة تسأل عن (س) الجزار . . . ! ثم يدق التليفون مرة ثالثة ، في هذه المرة هو الحبيب الخاطب المتكلم ، لأن الفتاة اغتبطت فجأة اغتباطاً عظيما كأنها ربحت اليانصيب الارلندي . . الخاطب يسألها عن سبب تأخرها لأنه ظل ينتظرها ساعتين كاملتين في المقهى ، وكان انتظاره في مقهى آخر ، إذ أخطأ اسم المكان ! الفتاة تسرع في الذهاب اليه ، وقد زال عنها تعبها في غمضة عين ، إنها تنهب الدرج نهباً أثناء النزول ، فتزل قدميها وتسقط سقطة مؤلمة ، ولكنها لا تحس ألماً ، بل تضحك من أجل هذا ضحكاً متواصلاً . ثم أخذت تفكر مرة أخرى في تبني الطفلة الفقيرة ، وفي إسعاف الكلب الجريح ! . .

كرمة ابن هانئ — حسين شرقي

أحكم بني الانسان ، لأنهم هم وحدهم الذين أدركوا ما في التدليلات كلها من تزعزع وضعف شامل ، لا بل أدركوا ذلك في الأشياء جميعاً ، وهي تظل صاعدةً هابطةً في مدٍّ وجزر لا ينقطعان ، كما هي الحال في تيار يوريبوس

قلت : هذا جد صحيح

أجاب : نعم يا فيدون ، ولشد ما يبعث على الأسى أيضاً أن يصادف انسان تدليلاً هنا أو هناك ، فيبدو له أول الأمر أنه حق ، ثم يتكشف له عن باطل ، فبدلاً من أن ينحو باللائمة على نفسه وعلى ما يعوزه من ذكاء ، تراه لحنقه آخر الأمر يغتبط شديد الغبطة في ازاحة اللوم عن عاتقه ليلقيه على التدليل بصفة عامة ، ويظل بعد ذلك الى الأبد كارهاً لاعناً لكل تدليل ، فتفلت منه حقيقة الوجود وعرفانه ، لو كان ثمت ما يسمى بالحقيقة أو اليقين أو القدرة على المعرفة إطلاقاً

قلت : نعم ، إن ذلك ليبعث على الحزن الشديد

قال : فلنحاول إذن بادىء ذي بدء ، أن نسلم في نفوسنا بالفكرة القائلة إنه لا حقيقة ولا عافية ولا قوة في أي تدليل على الاطلاق ، ولنعلن قبل ذلك أن ليس فينا نحن الآن عافية وأنه يجب أن نطلق فينا العنصر الانساني ، ونسعى جهدنا في اكتساب العافية — فتكسبها أنت وسائر الناس جميعاً من أجل حياتكم المقبلة كلها ، وأما أنا فمن أجل الموت ، فلست أحسُّ الساعة أني مُتَخَلق بخلق الفيلسوف ، وما أنا في الرأي إلا مشايع كأفراد السوقة ، وليس يعبأ المتشيع ، حينما يلج في المخاصمة ، بأوجه الصواب من الموضوع ، بل يحرص على إقناع سامعيه بأقواله وكفى ، وليس بينه وبيني في اللحظة الراهنة من فرق إلا هذا — بينا هو يحاول إقناع سامعيه بصحة ما يزعم ، تراني أحاول إقناع نفسي قبل كل شيء ، فاقناع سامعيَّ أمر ثانوي بالنسبة اليَّ . ولتنظرن كم عسى أن أفيد بهذا ، فلو كان ما أقوله صحيحاً فما أجل أن أكون مقتنعاً بالحقيقة ، وأما إن كان لاشيء بعد الموت ، فسأوفر على أصدقائي هذا العويل فيما بقي من حياتي من أجل قصير ، هذا وسترتفع عني جهالتي ، ولهذا فلن يقع مني ضرر . أي سمياس وسيبيس ، تلك هي الحالة العقلية التي أتناول بها الحوار ، وإني أطلب اليكما أن تفكرا في الحقيقة لا في سقراط ؛ فان رأيتما أني أتكلم حقاً فوافقاني وإلا فقاوماني بكل ما وسعكما من جهد ، حتى لا أخدعكما جميعاً كما أخدع نفسي ، وحتى لا أكون لكما كالنحلة ، فأدع فيكما حُمَّتي قبل موتي

قال : والآن دعنا نمضي ، ولأتأكد منك قبل كل شيء أن ما في ذهني يطابق ما كنتَ تقوله ، فإن كنتُ مصيباً فيما أتذكر ، فقد كان لدى سمياس مخاوف وشكوك أن تكون الروح أسبق إلى الفناء ، ما دامت في عبارة عن انسجام ، على الرغم من أنها أشد من الجسد ألوهية وصفاء . وقد بدا سمياس من جهة أخرى أنه يسلم بأن الروح أطول من الجسد بقاء ، ولكنه قال : إن أحداً لا يستطيع أن يعلم إن كان يمكن للروح بعد أن تكون قد أبلت أجساداً عدة ، أن تفني هي نفسها ، مخلِّفة وراءها آخر أجسادها ، وأن هذا الموت الذي يجلب الدمار للروح لا للجسد ، لأن فعل التخريب لا يفتأ عاملاً في الجسد أبداً . أليست هذه ، يا سمياس وسيبيس ، هي النقط التي تستوجب منا النظر ؟

فوافق كلاهما على أن ذلك تقرير لرأيهما

فمضى سقراط : وهل تنكران ما في الحوار السابق كله من قوة ، أم تنكران ما في بعضه فقط ؟

فأجابا : بل ما في بعضه فقط

قال : وماذا ارتأيتما في ذلك الجزء من الحوار الذي ذكر فيه أن المعرفة عبارة عن تذكر فحسب ، واستنتجنا منه أن الروح لا شك كانت موجودة فيما سبق ، في مكان آخر ، قبل أن تنحصر في الجسد ؟ فقال سيبيس إنه قد تأثر بذلك الجزء من الحوار تأثراً عجيباً ، وأنه لبث فيه راسخ اليقين ، ووافقه سمياس ، وأضاف أنه عن نفسه لم يكد خياله يجيز أن يجيء يوم يرى فيه حول ذلك رأياً مخالفاً لهذا

فاستأنف سقراط : ولكن يجدر بك ، أي صديق الطيبي ، أن ترى رأياً مخالفاً ، لأنك إن أصررت على أن الانسجام مركَّبٌ وعلى أن الروح انسجامٌ نشأ من أوتار رُكِّبت في أطار الجسد ، فلا ريب أنك لن تجيز لنفسك القول بأن الانسجام سابق للعناصر التي يتألف منها الانسجام[1]

— كلا يا سقراط فذلك مستحيل

(يتبع)

زكي نجيب محمود

(١) قال سمياس لسقراط : إنه مقتنع بمذهب التذكر الذي يتضمن وجود الروح قبل حلولها في الجسد ، فيجيبه سقراط : إن هذا المذهب لا يتفق مع عقيدته بأن الروح عبارة عن انسجام بين أعضاء الجسد ، لأنه يستحيل أن يوجد انسجام الأعضاء قبل وجود الاعضاء نفسها ، وبالتالي يستحيل وجود الروح قبل وجود الجسد